حصار جدة ، واسترداد مكة

ترك سعود مكة وسار الى جدة ، لمنازلتها والاستيلاء عليها ، والخلاص من الشريف غالب وخطره ، ولكنه وجـد نفسه أمام مدينة محصنة « بسور متين وخندق دونه » – كما يقول ابن بشر – فرجع عنها ، وعاد الى نجد .

لا يذكر ابن بشر المدة التي أقامهـا سعود في حصار جدة ، ويقول (ده غوري) ان جدة لم يضرها هذا الحصار لأن البحر مفتوح أمامها ، يمدّها بما تريد ، فكانت قادرة على الصبر طويلاً .

ويقول الجبرتي إن حصار جدة استمر تسعة أيام وقد قطع سعود عنها الماء.. وان هجانة وردوا (من ناحية ينبع وأخبروا أن الوهابيين جلوا عن جدة ومكة بسبب أنـه وصلتهم أخبار بأن العجم زحفوا على قاعدة بلادهم الدرعية وملكوا بعضها ..) !!

ومما لا شك فيه أن (الحظ) خدم الشريف غالب كثيراً ، فقد حصنت جدة لدفع خطر بونابرت عنها ، فاذا التحصينات تستخدم في دفـع هجوم لم يكن منتظراً . فقد نقل ده غوري عن المستشرق « سنوك هورغرونه » [١] أن الباب العـالي أرسل الى مكة في آخر سنة ١٧٩٨ م (١٢١٢ هـ) فرماناً يأمر بإقامة

---

(١) انظر كتاب غوري .

تحصينات في الديار المقدسة لمواجهة غزو يحتمل أن يقوم به الافرنسيون، وهكذا أصلحت أسوار جدة بسرعة ، ودرب الأهلون كل ليلة على الاعمـــال الحربية ، واستعد الناس لدفع بونابرت عنهم .

وبهذا يتبين لنا أن قول ابن بشر إن الشريف كان يراسل سعوداً — بعـــد استيلائه على مكة — (ويخادعه ويطلب الصلح ويبذل المال ، وهو يريد أن يحصن جدة ، ويحمل ما فيها في السفن) ادعاء غير صحيح تماماً ، لأن الشريف ما ذهب الى جدة ليحصنها ، خلال أيام قليلة .. وإنما ذهب اليها لأنهـا محصنه ، وتستطيع أن تحميه بسهولة، ولكننا لا نستبعد أنه كان يفكر في الهرب بأمواله بالبحر ، متى اضطر الى ذلك ..

بالقتال رفع الحصار !

ويقول (ابن دحلان) إن جنود سعود أحاطوا بجـدة ، فرمى عليهم الشريف غالب بالمدافع والقلل ، فقتل كثيراً منهم ولم يقدروا على تملك جدة ، فارتحلوا بعد ثمانية أيام ورجعوا الى بلادهم .

بالمال رفع الحصار !

ويقول (بركارت) إن الحصار استمر (١١) يوماً وإن الشريف تهيأ للهرب بطريق البحر ، ففوجىء برحيل سعود ، وقيل أيضاً إنه بذل مالاً لسعود ليقبل ببقائه في جدة (قيل إنه دفع له خمسين الف ريال) ، وهذا ما ذهب اليه أيضاً مؤلف (التاج المكلل) ، ولعله نقله عن بركارت .

بالمرض رفع الحصار !

ويقول كورانسيز : حاصر الوهابيون جدة ، وكانت أسلحتهم بسيطة ، وهي رماح ، وبنادق لا يحسنون كلهم استعمالها ، فلم يستطيعوا اقتحام أسوار المدينة المحصنة المنيعة ، وزاد في صعوبة الأمر أن المرض أخذ يتفشى بين الجنود الوهابيين ، فقرر سعود رفع الحصار والعودة .

ويؤيد المؤرخ الافرنسي (مانجان) ما قاله كورانسيز عن انتشار المرض بين جنود سعود ، وان سعود نفسه أصابه المرض أيضاً ، وهو : الزحار « الديزنتاريا » .

وروى بعضهم عن لسان سعود أنه قال :

« إني أدع جدة ، لأنني لا أستطيع الصبر على حرّها أكثر مما صبرت » !